الافتتاحيّة

كُلُّنا مدعوُّون للشركة الحقة في العهد

أ. أيوب شهوان

١- لمحة أولى عن العهد

تحتلّ حقيقة «العهد» مكاناً مميّزاً في العهد القديم، مما حدا بمفسّري الأسفار المقدّسة وباللاّهوتيّين إلى اعتبار «العهد» أحدَ المواضيعِ الرئيسيّة في العهد القديم، لا بل الموضوع المركزي الذي حوله تتمحور باقي المواضيع، كون مضمونه هو علاقة الله المميزة بشعبه، والمعبَّر عنها بتفاصيل عديدة ووجوه متنوعة، إلى حدّ أنّ كلمة «عهد»، وفي مختلف اللغات، المستعملة لترجمة الكلمة العبريّة «بِريت» (ברית)، لا تفي بالغرض إلاّ جزئيّاً.

أمر رئيسي إذاً بالنسبة إلى إيمان إسرائيل، وحياته، وعبادته، هي القناعة بأن الله، في زمان ومكان معيَّنَيْن، اختار أن يدخل في شراكة مع إسرائيل، ليجعل منه شعباً له، واهباً إياه كلَّ خير، ومُمْلِياً عليه التزامات خاصة. الرمز الأهم الذي يستعمله إسرائيل ليصف هذه العلاقة المميزة، هو رمز العهد، الذي يُعتَبَر توافقاً بين اثنين، ويتضمّن في آنٍ معاً وعداً ومطلباً: «أنا أكون لكم إلهاً، وأنتم تكونون لي شعبا» (إر ٧:٢٣؛ ١١:٤؛ ٢٤:٧؛ حز ١١:٢٠؛ ١٤:١١؛ هو ٢:٢٥). لقد أعطت فكرة العهد مع الله القوية هذه هدفاً لحياة هذا الشعب ومعنى لتاريخه.

إنَّ صورةَ العهد هي مفتاح باقي الصور. كان العهد أساساً تراضياً، وكان القبول بهذا التراضي والالتزام المتبادلَين علناً، أمام شهود، مع قَسَمٍ يتضمّن لعنات وتقديم ذبائح. ما يضمن الأمانة لهذا الاتفاق لم تكن ذاكرة الشهود (الذين كانوا يحلّون مكان التدوين) بقدر ما كان التهديد بالثأر من قِبَل الآلهة التي كان يتمّ استدعاؤها كشاهدة، ومن الاعتقاد بقدرة الكلمة.

وإذا انتقلنا من العهد القديم إلى الجديد، يصبح الأمر أكثرَ أهميّة، لأنّه، بالإضافة إلى غناه الذي كدّسه في العهد القديم، يتضمّن كلَّ الجديد الذي جاء به الربُّ يسوعُ. فبعد تجسّد الرب، ثم موته وقيامته، حمل العهدُ بين اللّه وشعبه أبعاداً جديدة غير متوقّعة، فأصبح عمقُ الاتّحادَ عظيماً

بين اللّه والإنسان، والعهدُ حميماً إلى حدّ كبير، وأكثرَ انفتاحاً، وذا بُعْدٍ هامٍّ جدّاً من حيث الحريّة والخلاص، من جهة، ومن حيث متطلّباته القويّة، من جهة ثانية.

يستعمل العهد الجديد ٣٣ مرة الكلمة اليونانية «دياتيقي» للكلام على العهد، وغالباً في مقاطع من العهد القديم. نصف هذه المراجع نجده في سفرٍ واحدٍ، ألا وهي الرسالة إلى العبرانيين. يمكن تقسيم المراجع المذكورة إلى أربعة: الاستعمال العام، وتقاليد العهد القديم، وتقاليد العشاء الأخير، ولاهوت العهد في عب.

وللملاحظة فقط، نذكّر، وبطريقة عابرة، بأن التقليد اللاهوتي المسيحي يستعمل كلمة «عهد» كاستعارة للكلام خاصة على أسرار العماد، والأفخارستيا، والزواج[1].

٢- عهد الله والعهود غير البيبلية

لدى دراسة موضوع العهد في الكتاب المقدس، خاصة في كتب العهد القديم، وبفضل المقارنة مع بعض أديان الشرق القديمة، نتبين أن العلاقة بين الله وإسرائيل هي فريدة من نوعها بين أديان العالم القديم. فإذا كانت الآلهة في الديانات القديمة مرتبطة بالطبيعة أو بالمحتمع الذي يعبد هذا الإله أو ذاك، والعلاقة بالتالي هي، بمعنى ما، طبيعية أو بشرية، فإنَّ علاقة الله بشعبه إسرائيل هي، على مثال الكون المخلوق، نتيجة فعلٍ خَيِّرٍ من الله، وتكتمل بالردّ الإيجابي عليها من قِبَلِ بني إسرائيل. بالتالي الاختلاف جوهري بين الفريقين من حيث العلاقة أو العهد مع الآلهة أو مع الله.

٣- العهد خيار وحوار وعلاقة

الأهم في موضوع العهد، ليس ما نناله من الله، بل «العلاقة» معه. شرطه المسبق هو أن «يأتي» المؤمن، و«يصغي»، و«يسمع». إنه خيار الإنسان، الذي يلي اختيار الله.

في كل البيبليا نرى أن «حوارا» يقوم بين الله وشعبه، حوار لا يتوقف على البعد المزدوج، «أنا – أنت»، بل يصبح شمولياً، ويتضمن عنصراً ثالثاً، ألا وهو الوعد، وشروط الوجود، والحياة الحقيقية في العالم المتجدد. إن النصوص العديدة التي تتكلم على العهد، تشتمل بنوع خاص على موضوع «العلاقة»، ولكنها أيضاً تعير أهمية كبيرة لموضوع «العطية»، فتصفها بوجوه عدة. ينتج عن ذلك ازدواجية هي التالية: هل «المجيء» هو نحو «مَن» يدعو، نحو الله، أم نحو «ما» يعطي، أي الخيور على أنواعها؟! تَقَبُّل خير ما هو شيء، وتَقَبُّلُ ضمانة علاقةٍ هو شيء آخَر، علماً أن هذه العلاقة وحدها ترتبط بشكل قاطع بالعهد. لكن هذا لا ينفي إطلاقاً ارتباط الخيرات والعلاقة بشكل قوي بعضهما ببعض.

٤- العهد أبدي

انطلاقاً من أن العهد هو «أبدي» (رج أش ٥٥:٣)، فهذا يشكل ضمانة هامة جداً، ترتكز

١ – حول هذا الموضوع، يمكن مطالعة C. Stuhlmueller, *The Collegeville Pastoral Dictionary of Biblical Theology* (The Liturgical Press: Minnesota 1996) 178-186.

بين اللّه والإنسان، والعهدُ حميماً إلى حدّ كبير، وأكثرَ انفتاحاً، وذا بُعْدٍ هامٍّ جدّاً من حيث الحريّة والخلاص، من جهة، ومن حيث متطلّباته القويّة، من جهة ثانية.

يستعمل العهد الجديد ٣٣ مرة الكلمة اليونانية «دياتيقي» للكلام على العهد، وغالباً في مقاطع من العهد القديم. نصف هذه المراجع نجده في سفرٍ واحدٍ، ألا وهي الرسالة إلى العبرانيين. يمكن تقسيم المراجع المذكورة إلى أربعة: الاستعمال العام، وتقاليد العهد القديم، وتقاليد العشاء الأخير، ولاهوت العهد في عب.

وللملاحظة فقط، نذكّر، وبطريقة عابرة، بأن التقليد اللاهوتي المسيحي يستعمل كلمة «عهد» كاستعارة للكلام خاصة على أسرار العماد، والأفخارستيا، والزواج[1].

٢- عهد الله والعهود غير البيبلية

لدى دراسة موضوع العهد في الكتاب المقدس، خاصة في كتب العهد القديم، وبفضل المقارنة مع بعض أديان الشرق القديمة، نتبين أن العلاقة بين الله وإسرائيل هي فريدة من نوعها بين أديان العالم القديم. فإذا كانت الآلهة في الديانات القديمة مرتبطة بالطبيعة أو بالمحتمع الذي يعبد هذا الإله أو ذاك، والعلاقة بالتالي هي، بمعنى ما، طبيعية أو بشرية، فإنَّ علاقة الله بشعبه إسرائيل هي، على مثال الكون المخلوق، نتيجة فعلٍ خَيِّرٍ من الله، وتكتمل بالردّ الإيجابي عليها من قِبَلِ بني إسرائيل. بالتالي الاختلاف جوهري بين الفريقين من حيث العلاقة أو العهد مع الآلهة أو مع الله.

٣- العهد خيار وحوار وعلاقة

الأهم في موضوع العهد، ليس ما نناله من الله، بل «العلاقة» معه. شرطه المسبق هو أن «يأتي» المؤمن، و«يصغي»، و«يسمع». إنه خيار الإنسان، الذي يلي اختيار الله.

في كل البيبليا نرى أن «حوارا» يقوم بين الله وشعبه، حوار لا يتوقف على البعد المزدوج، «أنا – أنت»، بل يصبح شمولياً، ويتضمن عنصراً ثالثاً، ألا وهو الوعد، وشروط الوجود، والحياة الحقيقية في العالم المتجدد. إن النصوص العديدة التي تتكلم على العهد، تشتمل بنوع خاص على موضوع «العلاقة»، ولكنها أيضاً تعير أهمية كبيرة لموضوع «العطية»، فتصفها بوجوه عدة. ينتج عن ذلك ازدواجية هي التالية: هل «المجيء» هو نحو «مَن» يدعو، نحو الله، أم نحو «ما» يعطي، أي الخيور على أنواعها؟! تَقَبُّل خير ما هو شيء، وتَقَبُّلُ ضمانة علاقةٍ هو شيء آخَر، علماً أن هذه العلاقة وحدها ترتبط بشكل قاطع بالعهد. لكن هذا لا ينفي إطلاقاً ارتباط الخيرات والعلاقة بشكل قوي بعضهما ببعض.

٤- العهد أبدي

انطلاقاً من أن العهد هو «أبدي» (رج أش ٥٥:٣)، فهذا يشكل ضمانة هامة جداً، ترتكز

١- حول هذا الموضوع، يمكن مطالعة C. Stuhlmueller, *The Collegeville Pastoral Dictionary of Biblical Theology* (The Liturgical Press: Minnesota 1996) 178-186.

على مَن يقدمها، واللارجوعَ عنها يشكل «العطية» الرئيسية، ويُعَبَّر عنها بعدم وضع شروط، كالشرائع وغيرها، باستثناء المجيء إلى الرب والإصغاء إليه. إن البشرى بعهد لا رجوع عنه، هو على مسمع الأذن، مع البشرى التي تهب الحياة، تثلج قلب المظلومين وتنعشهم. يتميز هذا العهد «الجديد» حصراً عن سلسلة العهود السينائية بكونه «أبديّاً».[٢]

٥- رمزية العهد

يلجأ العهد القديم إلى جملة صور وتشابيه ورموز للكلام على العهد وتقريب مفاهيمه إلى المؤمنين، في ما يلي أهمها:

٥/أ) العهد هو كعلاقة أب بابنه

توحي صورة علاقة الأب بابنه بالعلاقة الطبيعية، مع تخطٍّ واضح لهذه الناحية الحصرية من أجل الدلالة على جماعة من الناس ملتئمة بحرية. في الكتاب المقدس لا يُدعَى اللهُ الخالق الطبيعي لإسرائيل، بل الروحي، مع ما يستتبع ذلك بالمقابل من انعكاس مادي محسوس على الواقع الحياتي. إن المعاني التي يمكن استخراجها من صورة الأب وابنه هي الحب، والإكرام، والطاعة، وليس علاقات نَسَب أو قربى.

٥/ب) بين الراعي وقطيعه عهد لا يُكتب

صورة الراعي وقطيعه هي أقل شيوعاً، ولا تبرز العلاقة الشخصية المتبادلة. لكن الراعي مرتبط بقطيعه من خلال عنايته به التي تقابلها ثقة الخراف به. هكذا يبدو الله من خلال هذه الصورة أنه راعي إسرائيل، وحاميه، والذي يقوده إلى مراعٍ خصبة، لأن بينهما نوعاً من العهد غير المكتوب بمداد.

٥/ج) رمزية الملك وأبناء رعيته

هذه الرمزية غير صريحة، لكن اللقب الإلهي، «سيد»، يعكسها ويوضحها، وبشكل ضمني، في صورة العهد. تحمل صورة الملك وأبناء رعيته القليلَ من العلاقة الحميمة التي نجدها أكثر وضوحاً وصراحةً في صورتَي الأب–الابن، والزوج–الزوجة. من الناحية النظرية، يمكن لأيٍ من بني إسرائيل أن يقترب من ملكه، وهذا ما كان يحصل في بدايات الملكية أيام شاول وداود، وهذا ما انعكس على مفهوم العهد. عندما يُعطَى لقبُ «ملك» لله، فإنه يشير إلى قدرته وإلى إرادته في أن يخلص.

٥/د) الزواج أجمل صورة عن العهد

يوضح تشبيهُ علاقةِ الله مع شعبه بالزواج بين رجل وامرأة، العلاقاتِ الشخصيةَ وأكثر من ذلك، كما يُبرز مبادرةَ الله تجاه شعبه، خاصة وأنَّ الزوجَ كان دائماً هو مَن يختار زوجتَه. لقد أطلق هذا التشبيه أولاً النبيّان هوشع وإرميا، حيث تبدو صورةُ الزواج وسيلة ناجحة للتشديد على علاقة الحب؛ فأمانة إسرائيل هي نتيجة الحب، وخيانتُه إهانةٌ شخصية لله.

٢– P. Beauchamp, "Vous êtes, tous, les invités de l'alliance", *AssSeig* 49 (1971) 6-11.

٦- العهد يتجدد أبداً

حوالي العام ٦٠٠ ق. م.، تكلم نبيّ عظيمٌ يُدعى إرميا، على موضوع «العهد الجديد»، الأمر الذي شكّل في حينه نوعاً من الثورة، لكنه أثار عليه كثيرين. فكأني بالنبي الحكيم والمدرك، الواعي والفطن، لم يحسب حساباً لأولئك الذين عارضوه وعرّضوه للخطر الأقصى، كما سيفعلون بالذي ختم «العهد الجديد» بدمه الزكي الطاهر!

مَن مَسَّ المقدسات أو أساء إلى كرامتها يُرجَم؛ هذا ما تأمر به الشريعة، وهذا بالتالي ما كان يستحقه إرميا الذي اعتبر أن العهد الذي سبق وأبرمه الله مع شعبه في سيناء قد صار بحاجة إلى «تجديد»، وإلى نفض الغبار عنه أو حتى أكثر من ذلك. فكم كان إرميا محباً لله، وغيوراً على عهد الحب، صادقاً مع بني قومه، طاهراً في نواياه، من جهة، وجريئاً في فكره، لا يهاب تهديد القابعين في الظلمة والظالمين، حتى تكون له الطاقة على اتخاذ الموقف الحازم والقاطع كحد السيف، والمعارضة بدون هوادة ولا تردد ولا خوف، من جهة ثانية! إن مردَّ كل ذلك عائد لكون العهد في مفهومه يتضمن أبعاداً تتخطى الفرائض والقوانين والتشريعات، وما إلى ذلك؛ إنه رباط الحب – والحب ينفي الخوف –، الذي أدركه هوشع النبي في العمق، فصُعِق لكثرة خيانات الشعب المحبوب والمخطوب، وثار مقرِّعاً وموبِّخاً ومنددا، لعل في ذلك منجاةً من حكم مبرم ومن عقاب أليم. في خط هوشع سار إرميا، وحزقيال وغيرهما من الأنبياء، رجال الأمانة والوفاء.[٣]

عندما نتكلم إذاً على «العهد الجديد» (La Nouvelle Alliance) أو «العهد الجديد» (Le Nouveau Testament)، فإننا نستعمل تعبيراً نستلّه من إرميا؛ كذلك الأمر، إذا تكلمنا على «العهد القديم» (L'Ancien Testament)، فإن ذلك أيضاً عائد إلى إرميا.

خاتمة

نتساءل اليوم، وبعد ٢٦٠٠ سنة على نبوءة إرميا، وقرنين إضافيَين على نبوءة هوشع، هل كان هذا النبي يعرف إلى أين سيؤدي كلامُه، وما ستكون مفاعيله، وكم وكيف سيكون مردوده؟! إذا كان هناك، وعلى خطى إرميا، مَن تنبأ، كحزقيال (رج ١٦: ٦٠ و٦٢؛ ٣٧: ٢٦)، أو آخَرون من أيام المنفى وبعده (رج مثلاً أش ٥٠: ٣؛ ٥٩: ٢١؛ ٦١: ٨)، وتكلموا على «العهد الأبدي»، فإنهم فعلوا، على ما يبدو، متأثرين بالسلف العظيم إرميا[٤].

إن المقالات التي سيتضمنها العددان ١٠ و١١ من مجلة بيبليا (٢٠٠١)، والمكرسان لموضوع العهد، ستتيح للقارىء أن يجد شرحاً للمواضيع الكثيرة والمتنوعة في هذا المجال، وأجوبةً على الأسئلة العديدة المطروحة حول «العهد».

٣- N. Füglister, "La nouvelle alliance (Jr 31, 31-34)" *AssSeig* 18 (1971) 28-35.

٤- P. Buis, "La nouvelle alliance", *Vetus Testamentum* 18 (1968) 1-15.